

## الصفات السلبية

تعود المتكلمون في مصنفاتهم الكلامية على البدء بتناول صفات السلوب ، فالله عز وجل ، ليس بجسم وليس بعرض وليس بهيئة ولا جوهر وشبيه له ولا مثيل إلخ .

وكان للمتكلمين من ذلك مقاصد ، وهو تحديد المصطلحات ، ووضع أطر للحوار بينهم وبين خصومهم في العقيدة ، يقوم على أساسها الجدل والنظر ، ويوافق خصومهم على هذه المصطلحات ومفاهيمها التي تدور حولها .

إذاً فكرة الحديث عن الجوهر والعرض ونفى ذلك عن الله ، طارئة على العالم الإسلامي ، وكان لابد على المتكلمين أن يعالجوا الموضوع من منطلق إسلامي بحت ، بحيث لا تتعارض مع ما استحدثه الناس في العقيدة .

وهو نتيجة طبيعة لاختلاط المسلمين بغيرهم بعد الفتح ودخول الناس من ملل ومذاهب متعددة ، إلى دين الله أفواجاً ، وتأثر المسلمين بالمدارس الفلسفية والفكرية المختلفة أو الثقافات المتنوعة ، بالإضافة إلى ترجمة كتب الفلسفة والمنطق بصورة متكافئة في عصر المأمون<sup>(١)</sup> وما تلاه .

كان لابد من وجود خلفية مشتركة ولغة حوار فكري واحد بين العلماء ، عند النظر والجدل ، في وسط كم هائل من العقائد والثقافات ، وحدث ذلك في كل العلوم ، وكان حدوثه في العقائد أولى ، لصد خصوم الدين عن عبثهم بعقائد المسلمين ، فأخذ المتكلمون في التعرف على الفلسفة اليونانية والشرقية مع إجازة مصطلحات والفاظ جديدة توافقت الشريعة ، وفي نفس الوقت تساعد على الحوار الفكري وإثرائه<sup>(٢)</sup> .

فاستخدموا صيغ النفي في وصف الباري ، لمواجهة الثنوية والمجوسية واليهودية والنصرانية بمالديهم من عقائد تجسيمية تضاد عقيدة التوحيد وتخالفها ، وكذلك مواجهة التيارات الحادثة في نسيج المجتمع المسلم ، وعملوا على إفساد وتشويه

(١) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ت ٢١٨ هـ . تاريخ بغداد ١٠٤ / ١٨٣ .

(٢) انظر المسعودي : مروج الذهب ٢٤ / ٢٤٧ .

العقيدة هم الآخرون ، لقد حفظ علماء الأصول الدين من هذه التصورات ونظائرها ، ورأوا أنه لا بأس من استحداث علوم وألفاظ ومصطلحات طالما اقتضتها الضرورة في الدفاع عن العقيدة (١) .

ورغم ذلك لم يعجب هذا التصرف اتجاهها آخر ، ممن يذمون علم الكلام والمشتغلين به ، ولا يفرقون بين ما يجب أن يبقى منه وما لا يجب ، وقالوا بأن هذا التصرف لم يكن من أساليب السلف الذين حرصوا على وصفه تعالى بكل كمال وجلال وبعدها عن السلب .

ولو كان السلف موجوداً على عهد المواجهة مع الخصوم ، لحمد تصرف علماء الأصول ، لا كما قالوا بأنه إساءة أدب مع الله ، حيث أن القرآن يأتي بالإثبات مفصلاً والنفي مجملاً .

واعتبروا وصف الله بأنه لا شبح ولا جثة ولا جوهر ولا عرض ولا بذى لون طريقه مذمومة ومسلكاً قبيحاً ، ولكن ما الحيلة إن كانت تصورات الخصوم قائمة كلها على هذا الوصف ؟

يقول الطحاوي : « وفي هذه الجملة حق وباطل ، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة ، وهذا النفي مجرد ، مع كونه لا مدح فيه ، فيه إساءة أدب ، فإنك لو قلت للسلطان : أنت لست بزبال ولا كساح ، ولا حجام ولا حائك .. لأدبك على هذا الوصف إن كنت صادقاً ، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي ، فقلت : أنت لست مثل أحد من رعيتك ، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل ، فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب » (٢) .

عموماً ننتهي من هذا التمهيد إلى سلامة الجميع في مقاصدهم ، ولكن الأمور تأخذ بعلمها ومدى ما تحققه من أهداف ، وهو ما ينبغي وضعه في الاعتبار ، وإلا صرنا إلى جدل لفظي لا ينتهي وتملأ به بطون الكتب ، حيث لا خلاف ولا طائل من الخلاف .

\* \* \*

(١) انظر على سبيل المثال : الفشيرى : الرسالة ١٠٠ / ٦ - ١٧ .

(٢) الطحاوية ٤ ص ١٠٧ . تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني ، وطبع المكتب الإسلامى .

١- هو كل ما سوى الله ، عز وجل ، من الموجودات مما يعلم به الصانع ، أما أقسامه فقد اختلف المتكلمون حولها ، ولكن قريبا للمعقول والواقع هو انه ينقسم إلى عالم الأجسام وعالم الأعراض وعالم النبات وعالم الحيوان ، وعن طريق التأمل والنظر فيها يعلم وجود الله ضرورة واستدلالاتاً عند أكثرهم من حيث ذاته واسماؤه وصفاته .

والعالم لغة : عبارة عما يعلم به الشيء ، واصطلاحاً : عبارة عن كل ما سوى الله من الموجودات كما ذكرنا (١) .

### الجواهر الأعراض :

٢- وقد أثبت كثير من المتكلمين وجود الله عن طريق حدوث العالم ، ولذلك قسم المتكلمون العالم إلى جواهر وأعراض . فالجواهر يستحيل أن تعرى عن الأعراض ، فما الجوهر ، وما العرض ؟

الجواهر عبارة عن الأجسام ، والأعراض كالحركة والسكون ، والجوهر يقوم بنفسه أما العرض ما قام بغيره ، وينقسم إلى ملازم لغيره لا ينفك عنه كالضاحك بالقوة بالنسبة للإنسان ، أو مفارق ينفك عن الشيء كحمرة الخجل (٢) .

٣- وأثبت المتكلمون حدوث الأعراض والجواهر ، وبها أثبتوا حدوث العالم (٣) .

٤- الجسم : هو المؤلف ، وهو جوهران مجتمعان ، وعند زيادة التأليف يقال جسم وأجسم (٤) ، وقال هشام بن الحكم : هو الموجود إذ لا موجود عنده في الشاهد والغائب إلا الجسم ، قالت الكرامية بذلك (٥) ، غير أن المتكلمين اتفقوا على القول بأنه المؤلف من الجوهر أو هو جوهر قابل للأبعاد الثلاثة (٦) .

(١) المهرجاني : التعريفات ، ص ١٢٦ . تحقيق د. عبد المنعم حفني ، طبع دار الرشد ، القاهرة .

(٢) الأمدي : المبين ، ص ١٠٩ ، تحقيق د/ حسن الشافعي - القاهرة ١٩٩٣ م .

(٣) الجويني : الإرشاد ، ص ١٧ ، ١٨ . تحقيق أسعد تميم ، بيروت ، ١٩٨٥ .

(٤) الباقلاني : الإنصاف ، ص ١٦ ، تحقيق الشيخ الكوثري ، طبع المكتبة التوفيقية ، القاهرة ١٩٥٥ .

(٥) النسفي : تبصرة الأدلة / ١ / ٥٦ . (٦) المهرجاني : التعريفات ، ص ٨٦ .

٥- وللمتكلمين خلاف في ماهية الجسم ذكره الأشعري في المقالات (١) ، ملخصه أن الجسم مركب من جوهريين أو أكثر ، وهل له بعدين أو ثلاثة أبعاد ، طول وعرض وعمق ، وهو خلاف حقيقى وليس لفظياً ؛ يقول التفتازانى : « وليس نزاعاً لفظياً راجعاً إلى الاصطلاح ، حتى يدفع بأن الجسم بإزائه هل يكفى فيه التركيب من جزأين أم لا ؟ » (٢) .

٦- اختلاف الأعراض : والأعراض مختلفة ، وتحدث فى الأجسام ، ولا تقوم بنفسها ، وتتعاقب على الأجسام ، فالسكون يأتى بعد الحركة ، والحركة ، بعد السكون ، وهكذا (٣) . . وانكرت المعتزلة حدوث الأعراض فى الأجسام ، خشية القول بحلول صفات الله فى محال ، وأجاز الفلاسفة من أصحاب الهيولى أن تخلو الأجسام عن الأعراض ، وتصوروا حدوث ذلك فى الأزل لاعتقادهم حدوث الكثرة فى الجواهر وتغير صفاتها بذلك ، (٥) ، وهو خطأ ، لأن كثرة الصفات للجسم الواحد لا يؤدى إلى كثرته .

٧- القديم والمحدث : القديم هو الموجود لذاته ، فيكون مستحيل العدم ، والمحدث : هو الذى يكون وجوده وعدمه فى حيز الجواز (٦) ، ويقول الجوينى : « القديم هو الموجود الذى لا أول لوجوده » (٧) ، ويرى المتكلمون أن المحدث عبارة عن وجود الشئ بعد عدمه (٨) .

٨- واختلف المتكلمون حول لفظ « القديم » كمصطلح ، وفى جواز إطلاقه على الله . - والخلاف حول المصطلح يعكس خلاف المتكلمين حول إثبات صفات للذات قديمة قدم الذات ونفيها ، إلا أن المعروف منه إصطلاحاً هو أنه لم يزل كائناً لا إلى أول ، وأنه المتقدم لجميع المحدثات لا إلى غاية .

- أما الخلاف حول جواز إطلاقه فيرجع إلى إنكار الظاهرية (٩) تسمية الله بالقديم

(٥) التفتازانى : شرح النسفية ٤ ص ٢٤ .

(٦) النسفى : التمهيد ٤ ص ١٢٥ .

(٧) الجوينى : لمع الأدلة ٤ ص ٧٧ .

(٨) الغزالى : الاقتصاد ٤ ص ٢٩ .

(١) الأشعري : المقالات ٢٤ / ٤ - ٧ .

(٢) التفتازانى : شرح النسفية ، ص ٢٤ .

(٣) الباقلانى : التمهيد ٤ ص ٣٨ - ٤١ .

(٤) البغدادى : أصول الدين ، ص ٣٢٩ .

(٩) راجع عبد المنعم حفىنى : الموسوعة الفلسفية ٤ ص ٢٨١ .

فقال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) : «إن الله لا يجوز أن يسمى بالاستدلال ولا فرق بين من قال : إنه يسمى ربه تعالى جسماً إثباتاً للوجود ، ونفياً للعدم ، وبين من سماه قديماً إثباتاً ، لأنه لم يزل ونفياً للحدوث . . . لان كلا اللفظين لم يأت به نص» (١) .

غير أننا اثبتنا أن السنة ورد فيها استخدام لفظ القديم على الله ورد في السنة حيث روى عن عمرو بن العاص ، أن النبي ﷺ ، كان إذا دخل المسجد قال : «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» (٢) .

وكذا ذكر البيهقي في السنة ثم قال : «وأصل القديم في اللسان : السابق ؛ لأن القديم هو القادم . قال الله ، عز وجل ؛ فيما أخبر به عن فرعون : ﴿يَقْدِمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فقيل لله ، عز وجل ؛ قديم ، بمعنى أنه سابق للموجودات كلها ، ولم يجوز إذ كان كذلك أن يكون لوجوده ابتداء ؛ لأنه لو كان لوجوده ابتداء لاقتضى ذلك أن يكون غير له أوجده . . فكان القديم في وصفه ، جل ثناؤه ؛ عبارة عن هذا المعنى» (٣) .

٩- ويقترح ابن حزم الظاهري استخدام لفظ أول (٤) ، لأنه ورد في القرآن ، في قوله تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ (٥) ، ويقره الطحاوي (٦) في ذلك ، ويبدع المتكلمين إلا أن كبار علماء الأصول يستخدمون اللفظ ويقررونه لفظاً ومعنى ولا يرون غضاضة فيه (٧) .

١٠- يأتي بعد ذلك إثبات العلماء لحدوث العالم ، وهو من من الأدلة المشهورة والثابتة عند المتكلمين ، وجمهور الفلاسفة القدماء في إثبات وجود الله ،

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ٢ / ٢٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ . تحقيق د / محمد إبراهيم نصر وزميله ، طبع دار الجيل ، بيروت ، د . ت .

(٢) رواه أبو داود ١ / ١٢٤ ، حديث رقم ٤٦٦ ، ومسلم ٥ / ٢٢٥ في الأذكار .

(٣) انظر البيهقي : الأسماء والصفات ١ ص ٢٣ ، ولسان العرب ٢٤ / ٣٥ مادة «قدم» .

(٤) ابن حزم : الفصل ، السابق ٢ / ٣٤٦ .

(٥) سورة الحديد : آية ٣ .

(٦) الطحاوي ١ ص ٢١١ .

(٧) القشيري : التحبير ١ ص ١٢٩ .

فيقولون: «إن العالم محدث ومخلوق ، أحدثه البارئ تعالى وأبدعه وكان الله تعالى ، ولم يكن معه شيء» (١) .

يقول النسفي : « ثم لما ثبت أن العالم محدث ، والمحدث ما كان جائز الوجود ، وما كان جائز الوجود كان جائز العدم ، وما جاز عليه الوجود والعدم لم يكن وجوده من مقتضيات ذاته ، فلم يكن اختصاصه بالوجود دون العدم خصوصاً بعد ما كان عدماً إلا بتخصيص مخصص ، ولهذا لا يثبت بناء بدون الباني ، فلا بد من محدث له أحدثه وخصه بالوجود» (٢) .

١١- الأشعري وطريقة الإبطال : يقول : « لو قدرنا قدم الجواهر لم يخل من أحد أمرين ، إما أن تكون مجتمعة أو مفترقة ، أو لا مجتمعة ولا مفترقة ، أو مجتمعة ومفترقة معاً ، أو بعضها مجتمع وبعضها مفترق ، وبالجملة ليست تخلو عن اجتماع وافتراق ، أو جواز طرآن الاجتماع والافتراق ، وتبدل أحدهما بالثاني ، وهي قد تبدلت ، فإذا لا بد من جامع فارق ، فيترتب على هذه الأصول أن ما لا يسبق الحادث فهو حادث» (٣) .

١٢- نقد دليل حدوث العالم : تعرض هذا الدليل لنقد شديد في الأوساط الإسلامية ، وأرجعه بعضهم لمذهب الذرات لديمقريطس (٤) . وكان هدفه في الأصل إنكار وجود الله .

إلا أن المتكلمين دافعوا عن موقفهم (٥) ، وإن لم يكن الدليل الوحيد لإثبات وجود الله ، ولذلك عده الأشعري بدعة كان لا ينبغي اتباعها ، ومع ذلك توجه أهل السنة نحو النص لإثبات حدوث العالم وقدم البارئ ووحدانيته (٦) .

١٣- ولجأ المعتزلة إلى فكرة التسلسل لإثبات القديم ، فلو كان محدثاً لاقتضى

(١) الشهرستاني : نهاية الأقدام ، ص ٥ .

(٢) النسفي : التمهيد ، ص ١٢٨ .

(٣) الشهرستاني : المصدر السابق ، ص ١١ .

(٤) ابن رشد : المقدمة ، مناهج الأدلة ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤٠ .

(٥) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ٧ / ٢١٩ - ٢٢٤ .

التسلسل ، ووافقهم الغزالي من أهل السنة ، وقال بأن صانع العالم قديم ضرورة ، بمعنى إثبات موجود ونفى عدم سابق (١) .

أما الجويني فرأى في هذا الدليل نظر من حيث كونه موضع اتفاق فقال : « لو ترتبت سلسلة الممكنات لا إلى نهاية لاحتاجت إلى علة ، وهي لا يجوز أن تكون نفسها ولا بعضها ، لاستحالة كون الشيء علة لنفسه ولعله ، بل خارجاً عنها ، فتكون واجباً ، فلتنقطع السلسلة » (٢) .

١٤- ما النتائج المترتبة على القول بحدوث البارى ؟ .. علق على ذلك المتكلمون فقالوا بأنه يلزم من ذلك بأن العالم يكون متعلقاً بما لا تصور لثبوته ، وما تعلق حدوثه بما لا تصور لثبوته يبقى على العدم ، وذلك لأنه توقف على وجود ما لا انقطاع له ولا تناهى فلا يصح وجوده . كما يؤدي إلى استحالة حدوث شيء من هذه الحوادث . ألا ترى أن أحدها لو قال لا آكل هذه التفاحة ما لم آكل تفاحات لا تنهائى ، لم يصح أكله لهذه التفاحة قط ، لأنه وقف ذلك على وجود ما لا يتناهى (٣) .

١٥- القديم هو الذات عند الأشاعرة : صرف الأشاعرة دلالة صفة القديم على الذات ، فقالوا بأنه معنى قائم بالذات يؤدي إلى القول بالتسلسل إلى ما لانهاية .. لحاجة المعنى الزائد بالذات إلى القول بأن ذلك المعنى أيضاً قديم بقدم زائد عليه ، وهكذا دواليك (٤) .

١٦- قائم بنفسه : قال أهل السنة بأن محدث العالم قائم بنفسه ، واستدلوا بأدلة متنوعة منها أن ما لا يقوم بنفسه لا يجوز أن يكون له علم وقدرة ، وقد دل فعلة على علمه وقدرته (٥) .

٢- وكذلك قالوا : إنه لو لم يقم بنفسه لافتقر إلى محل ، وكان محله بكونه صانعاً

(١) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول ٤ ص ١٨١ ، والغزالي : الاقتصاد ٤ ص ٣٨ .

(٢) الجويني : الإرشاد ، ص ٥٢ .

(٣) انظر القاضي عبد الجبار : شرح الأصول .. ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٤) انظر الغزالي : الاقتصاد ، ص ٣٩ .

(٥) القشيري : الفصول ، ص ٤٨ .

أولى منه ، وإذا صح وجود الصانع وبطل افتقاره إلى محل ، صح أنه قائم بنفسه»<sup>(١)</sup>.

٣- وقالوا أيضا : إن معناه أنه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه ، وعن محل يحله ، وعن مكان يقفه . قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>(٢)</sup> مبالغة عن القيام والثبات على الإطلاق من غير حاجة إلى صانع يصنعه أو موجد يوجده أو مكان يحله»<sup>(٣)</sup>.

١٧- لا شبيه له : قال علماء الأصول من أهل السنة وغيرهم أن محدث العالم لا يشبه أحداً من خلقه ، لأنه لو كان يشبهها لوجب حدوثه أو قدم العالم ، لأن حق المثليين التساوى بكل وجه<sup>(٤)</sup> . يقول الأشعري : البارئ لا يشبه المخلوقات ؛ لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحدث حكمها ، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها ؛ فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثاً مثلها من جميع الجهات ، وإن أشبهها من بعضها كان محدثاً من حيث أشبهها ، ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديماً»<sup>(٥)</sup>.

١٨- في تحديد معنى المماثلة اصطلاحاً : ذكر العلماء أن معنى المماثلة : إذا أريد به الاتحاد في الحقيقة فظاهر أنه ليس كذلك ، وأما إذا أريد بالمماثلة كون الشئيين بحيث يسد أحدهما مسد الآخر ، أى يصلح كل لما يصلح له الآخر ؛ فلان شيئاً من الموجودات لا يسد مسده في شئ من الأوصاف ، فإن أوصافه من العلم والقدرة ، وغير ذلك ، أجل وأعلى مما في المخلوقات ، بحيث لا مناسبة بينهما»<sup>(٦)</sup>.

١٩- الله شئ : أجاز أهل السنة والمعتزلة والزيدية إطلاق لفظ شئ على الله تعالى ، وخالفهم في ذلك الجهمية والفلاسفة وغلاة الشيعة من القرامطة<sup>(٧)</sup> ، اعتقاداً منهم بأن ذلك يوجب التشبيه ، وفي الحقيقة أن لفظ شئ دلالة على الموجود ، ولا يخبر إلا عن مطلق الوجود ، ولا مساواة في الوجود بين القديم والمحدث ؛ لأن القديم

(١) البغدادي : أصول الدين ٤ ص ٧٢ .

(٢) الأسفرائيني : التبصير ٤ ص ١٥٦ .

(٣) الأشعري : اللمع ٤ ص ١٩ ، ٢٠ .

(٤) الجزيني : الشامل ٤ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

(٦) القشيري : الفصول ٤ ص ٤٩ .

(٧) التفتازاني : شرح العقائد النسفية ٤ ص ٣٥ .

واجب الوجود والمحدث جائز الوجود ، ولا يسد جائز الوجود مسد واجب الوجود ، ولا يسد واجب الوجود مسد جائز الوجود ، ولذلك فلا مساواة بين الوجود والوجود ولا مشابهة بينهما<sup>(١)</sup> ويذكر الأشعري مقالة جهم فيقول : « ويحكى عنه أنه كان يقول : لا أقول : إن الله ، سبحانه ، شئ ؛ لأن ذلك تشبيه له بالأشياء »<sup>(٢)</sup> .

٢٠- الجوهر ، وإثبات أن الله ليس بجوهر : يعنى الجوهر عند الأصوليين الحيز والمكان ، وغير ذلك مما يوصف به العالم ، لذلك نفوا الجوهر عن الله ، وكذلك نفى الفلاسفة الجوهر عن الله ؛ لأنه ماهية إذا وجدت فى الأعيان كانت لا فى موضوع ، وإنما يتصور ذلك فيما وجوده غير ماهيته ، ووجود الله نفس ماهيته<sup>(٣)</sup> .

يقول الأشعري : « لا يجب أن تكون نفس البارئ ، عز وجل ؛ جسماً أو جوهرًا ، أو فى مكان دون مكان .. »<sup>(٤)</sup> .

ويعد الرازى ذلك من بدائه العقول فيقول : « جمهور العقلاء المعتبرين ، اتفقوا على أنه تعالى ليس بمتحيز ولا مختص بشئ من الجهات ، وأنه تعالى غير حال فى العالم ، ولا مباين عنه فى شئ من الجهات »<sup>(٥)</sup> .

٢١- حاول النصارى عن طريق فكرة الجوهر تفسير التوحيد والتثليث فى عقائدها فالجوهر هو أصل الأقانيم الثلاث ، الآب والابن والروح القدس ، التى هى الوجود والحياة والعلم ، ولكن زادت المشكلة أكثر تعقيداً ، حيث أن الجوهر مصطلح فلسفى يدل على المفارقة بين الألوهية والناسوت ، ودلالته على الناسوت أثبت ، وقد سبق إلى هذا الفهم الجوينى فقال : « الأقانيم هى الجوهر عندهم بلا مزيد ، والجوهر واحد والأقانيم ثلاثة ؛ وليست الأقانيم عندهم موجودات بأنفسها ، بل هى للجوهر فى حكم الأحوال عند مثبتيها من الإسلاميين ، والحال مثل التحيز للجوهر ، وهو حال زائدة على وجود الجوهر ، ولا تتصف الحال بالعدم ولا بالوجود ، ولكنها صفة وجود ، والأقانيم حالة محل الأحوال عند النصارى »<sup>(٦)</sup> .

(٤) الأشعري : رسالة أهل الثغر ، ص ٢١٨ .

(٥) الرازى : أساس التقديس ، ص ١٧ .

(٦) الجوينى : الإرشاد ، ص ٦٥ .

(١) القشيري : اللطائف ٢ / ٢٠٣ .

(٢) الأشعري : المقالات ١٤ / ٣١٢ .

(٣) الأيجي : المواقف ، ص ٢٧٣ .

٢٢- والله ليس بعرض ، لأن العرض لا يقوم بنفسه (١) ، والبارئ قائم بنفسه ، فاتفق المتكلمون على استحالة كون صانع العالم ومحدثه عرضاً ، لأن العرض يستدعى وجوده ذاتا تقوم به ، ويستحيل بقاءه ، والخالق باقٍ بنفسه وقد أطلق الله اسم العرض على كل شيء يقل بقاءه ، أو لا يعد باقياً في العرف والعادة (٢) ، قال تعالى : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ (٣) .

يقول القاضي عبد الجبار : « لو كان كذلك ، لكان لا يخلو ، إما أن يكون شبيهاً بالأعراض جملة ، وذلك يقتضى كونه على صفات متضادة ، وذلك محال ، أو يكون شبيهاً ببعضها دون بعض ، وذلك يقتضى أن يكون القديم ، تعالى ، محدثاً مثلها ، أو هى قديمة مثل الله ، تعالى ، وكلا القولين فاسد » (٤) .

٢٣- وقد نفى أهل السنة الجسمية والجوهر عن الله ، عز وجل ، ولكن ذكرنا من قبل إطلاق بعض الاتجاهات وصف الجسمية عليه حقيقة أو مجازاً ، وهذا يدعونا لدراسة هذا الموقف .

#### ٢٤- الجسمة بين الحقيقة والمجاز

تحدثنا من قبل عن الجسمة إلا أن منهم من لا يقصد من التجسيم سوى اللفظ ، وهو غير الاتجاه الآخر الذى يقصده لفظاً ومعنى ، وهؤلاء القوم هم الكرامية ، قالوا بأن قصدنا بأنه جسم ، أى موجود ، أو قائم بنفسه .

وخلافنا معهم على التسمية حيث سموا الله بما لم يرد فى كتاب ولا سنة ، وأسماء الله توكيفية نصية ، ولا يجوز لأحد أن يسمى الله بما لم يسم نفسه به أو سماه به رسول ، أو وقع الإجماع عليه ولا على معناه (٥) .

أما الجسمة الحقيقيون فقد خرجوا من الملة صراحة ، وأبطل الجمهور حججهم عقلاً ونصاً ، فالجسمية تعنى النقص والحدوث والتغير وحلول العلل والآفات ومماثلته ، تعالى ، لجنسها ، وكذلك الحاجة والتحيز والمكانية والجهة ، والله متصف بأضاد هذه الأوصاف من الكمال والمدح ، وجل أن يوصف بشيء من ذلك (٦) .

(١) القشيري : الفصول ، ص ٤٩ .

(٢) الغزالي : الاقتصاد ، ص ٤٣ .

(٣) سورة الانفال : الآية ٦٧ .

(٤) القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، ص ١٣١ .

(٥) الباقلانى : التمهيد ، ص ٢٢ - ٢٤ .

(٦) انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ١ / ٢٠٥ .

٢٥- قال المتكلمون بأن التجسيم يدفع عقلاً من وجوه متعددة ، فالجسمية تناقض التوحيد ، حيث يعنى الجسم التعدد والكثرة فهو عبارة عن التأليف من جوهرين أو أكثر ، وهو مستحيل على الله ، كما انه ينافى فى القدم ؛ لكون الجسمية بما يلزمها تعنى الحدوث ، والله منزه عن الحدوث ، والجسمية يلزمها اجتماع الأضداد ، والله منزه عن ذلك أيضا ويستحيل فى حقه ، زد على ذلك الجسمية تقتضى الحد والنهاية والجهة والمكان ، والزيادة والنقصان ، والبارئ منزه عن ذلك تمام التنزيه مقدس تمام التقديس (١) .

٢٦- ورغم وضوح قضية التجسيم والتشبيه إلا أن تياره المتطرف الغالى امتد وترك أثره فى بيئة المحدثين من أمثال ابن خزيمة (٢) صاحب كتاب «الاسماء والصفات» ، وهو كتاب مشحون بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وحققه أحد الدارسين فى مصر وطبعه فى بيروت ؛ ولم يعلق على هذه الأحاديث بشئ مما زاد الفتنة به .

أما مقاتل بن سليمان فقد تحدثنا عنه من قبل ، وقد حقق تفسيره الدكتور عبد الله شحاته أستاذ الشريعة بدار العلوم ، وظهر فى تفسيره اتجاهه نحو التجسيم الواضح الجلى ؛ وكنا كذلك نود من الشيخ الجليل التعليق فى مقدمته على هذا الاتجاه والتنبيه والتحذير منه .

ولم يكن أبو الحسن الملقب (٣) (ت ٣٧٧ هـ) بأقل حظاً من سابقه فقد ألف كتابه «التنبيه والرد» الذى حققه الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى عصرنا وطبعه ، وانتصر فيه للمجسمة والمشبهة ، وذم الجهمية والمعتزلة بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا الاتجاه كان له مؤيدوه فى كل بيئة ووقت ، وسيما فى الوسط الحنبلى . الذى تبنى هذا الفكر ، وقام بالعديد من الفتن من أجل نشره ونسبه فى جرة إلى السلف . ومن هذه المهن والفتن ما حدث فى عصر القشيري فى خراسان ونيسابور وما حدث بعد ذلك فى عصر ابنه ببغداد .

ولكن لم يكن الحنابلة كلهم من المجسمة فقد ظهر فيهم اتجاه لنفى التشبيه

(١) راجع المرجعيات : شرح المواظف ٨٠ / ٢٥ - ٢٦ وغيره .

(٢) هو محمد بن إسحاق (ت ٣١١ هـ) الاعلام ٢ / ٣٠٥ .

(٣) انظر السبكي : الطبقات ، ٢ / ١١٢ .

والتجسيم و، فضح دعاوى هذه المقالة وافترائها على الله من أمثال ابن الجوزى (١) صاحب كتاب «دفع شبه التشبيه بكاف التنزيه»، وقد حققه الشيخ الكوثر أيضاً، وهو مطبوع .

٢٧- فى نفى المكانية ؛ ذهب أهل السنة إلى أن الله لا يحويه مكان ، ولا يجرى عليه زمان ، على خلاف قول من زعم من الهشامية الغلاة ، أو الكرامية ، أنه مماس لعرشه ، وقد قال أمير المؤمنين على ؛ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ؛ إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته ، وقال أيضاً : قد كان ولا مكان ، وهو الآن على ما كان (٢) .

وقد عللت من قبل لم ذهب هؤلاء إلى إثبات المكان والجهة بتأثرهم باليهود ، وهم قوم أصحاب نزعة مادية فى عقائدهم ، فجاز عندهم عبادة العجل وتصوروا ربهم بما يعز تصورهم ، ويرجع هذا التصور المادى إلى البيئة أيضاً بما فيها من ثقافات ، بالإضافة إلى العديد من العوامل التى سادت فى هذا العصر . وإلا كيف نتصور قوماً ارتضوا فى إلههم أن يكون كملك صاحب عرش يجلس عليه ويمد قدميه ، ومن قوته وضخامته هذا العرش يعط أطيباً تحته كأطيب الرجل الجديد .. وهو تصور يلىق بحياة البادية أو من خالط اليهود فى الحضر ، فتأثر بنزعاتهم المادية (٣) .

ويلزم من يقول بالمكانية قدم المكان ، والتممكن يحتاج للمكان مع استغنائه عن المتمكن .. كما يلزمه التحيز والجسمية والحدوث والتعدد ، لتعدد المعلومات والقدر (٤) . ونناقش الموضوع مرة أخرى باستفاضة عند الحديث عن الصفات الخبرية .

٢٨- نفى اللذة الحسية ؛ نفى أهل السنة والجمهور وصفه تعالى باللذة الحسية ، واختلفوا فى نفى اللذة العقلية ، فقال الفلاسفة اللذة إدراك الملائم ، وكل من أدرك كمالاً فى ذاته التذ به ضرورة ، وبما أن الله موصوف بتمام الكمالات وتفوق الإدراك ، وجب أن تكون لذته العقلية أقوى اللذات .

(١) ابن الجوزى : عبد الرحمن بن أبى الحسن (ت ٥٩٧ هـ) .

(٢) البغداد : الفرق بين الفرق ؛ ص ٣٣٣ .

(٣) الإيجى : المواقف ؛ ص ٢٧١ .

(٤) الرازى : معالم أصول الدين ؛ ص ١٤٩ ، ١٥٢ .

وفرق المتكلمون بين اللذة العقلية والإدراك ، وإن كان الإدراك أحد مسببات اللذة ، وذات الله غير قابلة للذة ، أما الفلاسفة فقالوا بان السبب لا يعمل بلا قابل، وإدراكنا ليس مماثلاً لإدراكه بالحقيقة (١) .

٢٩- نفى وصفه بالماهية ، اتفق أهل السنة على نفى وصفه ، تعالى ، بالماهية ، وهى عندهم تعنى الماهية الجنسية أو النوعية ، والعقل عاجز عن كنه ماهيته ، تعالى ، الجنسية ، وغير داخل فى نطاق قدراته وعلمه ، وهو ، عز وجل ، منزه عن الند والمثل والشبيه (٢) .

وجاء فى التعريفات أن الماهية : ما به الشئ هو هو .. أو منسوب إلى ماء ، والأصل المائية ، فقلبت الهمزة هاء ، لئلا يشتبه بالمصدر المأخوذ من لفظ ماء ، والأظهر أنه نسبة إلى ما هو ، وجعلت الكلمتان كلمة واحدة .

وتطلق الماهية غالباً على الأمر المتعقل ، مثل المتعقل من الإنسان ، وهو الحيوان الناطق ، مع قطع النظر عن الوجود الخارجى ، والأمر المتعقل من حيث إنه مقول فى جواب ما هو يسمى ماهية (٣) .

ولابن حزم رأى آخر، فقد أثبت اللفظ واعتبره إشارة لحقيقة الشئ وذاته ، وقال : فمن أبطل الماهية فقد أبطل حقيقة الشئ المسئول عنه بما هو (٤) .

كما فرق بين الماهية والكيفية ، باعتبار الأولى سؤالاً عن ذات الشئ واسمه ، والثانية سؤالاً عن الجنس والنوع ، ويبدو أن خلافه للمتكلمين قائم على اللفظية ؛ لأنه قصد حقيقة الشئ وهو أمر لا يخالفه فيه أحد ، أما من نفى الماهية كسؤال عن النوع والجنس فقد أصاب هو الآخر أيضاً (٥) ؛ لما ذكرناه من قبل بانتفائها عنه تعالى .

لقد أنكر أهل السنة والمعتزلة الماهية ، لأنه لا يعلم الذات إلا هو ، وهى مخالفة

(١) الرازى : المحصل ٤ ص ١٦٠ .

(٢) الباقلانى : التمهيد ٤ ص ٣٠٠ .

(٣) الجرجانى : التعريفات ، ص ٢٢٣ ، والمعجم الفلسفى ؛ ص ١٦٥ .

(٤) ابن حزم : الفصل ، ٢ / ٣٥٩ - ٣٦١ .

(٥) النسفى : التبصرة ١٤ / ١٨٧ .

لسائر الذوات ، وقد قال أبو هاشم بالأحوال حتى لا يضطر من نسبة صفات لله مساوية ومماثلة للذات (١) .

وأخيراً نسب لأبي حنيفة قوله بأن : «لله تعالى مائة لا يعرفها إلا هو» . ونفاها عنه أتباعه ، وهي في الحقيقة ترجع لضرار بن عمرو (٢) وحفص الفرد (٣) من بعده .

\* \* \*

---

(١) الرازي : المحصل ، ص ١٥٤ .

(٢) ضرار بن عمرو الفطفاني (ت ١٩٠ هـ) .. الزركلي الاعلام ؛ ٣ / ٢١٥ .

(٣) النسفي : التمهيد ؛ ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

## الصفات الخبرية وقضية التنزيه

يعنى العلماء بالصفات الخبرية هى ما وصف الله بها ذاته وجاء السماع بها ، كوصفه بان له وجهاً أو عيناً أو يدين ، أو وصف بها فعله كوصفه بان له مجيئاً أو إتياناً أو نزولاً ، قال تعالى فى صفة الوجه : ﴿ وَيَقِيْ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢٧) ، وفى إثبات صفة اليدين : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (٢) ، وفى إثبات صفة العين : ﴿ وَلَتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٣) ، وفى إثبات صفة المجئ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٤) ، وفى إثبات صفة النزول : جاء فى الخبر أن رسول الله ، ﷺ ؛ قال : « ينزل ربنا ، تبارك وتعالى ؛ كل ليلة إلى السماء حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول : « من يدعونى فاستجب له ، ومن يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » (٥) .

وانقسم العلماء حول إثباتها إلى ثلاثة فرق :

- ١- فريق أنكروها لأنها تعارض العقل وتؤدى للتشبيه ، ولذلك أولها .
- ٢- وفريق رفض التأويل وأخذ النصوص على ظاهرها .
- ٣- وفريق ثالث قبل النص إن لم يتعارض مع العقل أو أوهم التشبيه ، وأوله إن أدى للتشبيه ، بشروط .

وليس من هذه الفرق الثلاث المجسمة لأنهم نسبوا إلى الله ما لا يليق بقدسيته على اختلاف فرقهم .

وكان السلف ينظر لقضية الصفات الإلهية بكل إجلال ، ويصف الله بكل كمال بلا تشبيه أو تعطيل ، وعرف السلف تأويل الصفات بشروط ، سذكرها ، ولكنهم لم يسرفوا كما أسرف الخلف ، ولا ينبغى الادعاء بان السلف لم يعرف التأويل لأنها دعوى بلا دليل ، والنافى هو الذى يحتاج للدليل هنا ، أما ما أوتر عنهم أنهم كانوا

(٢) سورة المائدة : آية ٦٤ .

(٤) سورة الفجر : آية ٢٢ .

(١) سورة الرحمن : آية ٢٧ .

(٣) سورة طه : آية ٣٩ .

(٥) رواه البخارى : ٣ / ٢٩ ، ١٣ / ٤٦٤ .

(٦) Harry A. wolfson : "The philosophy of the Kalam, S P. 38 .

يؤثرون الصمت ، فهو صحيح هو الآخر ، ليمثل الشق الثاني الصحيح من القضية ، وهو يعنى حرص أكثرهم على التنزيه لا العكس .

روى الترمذى : « أن غير واحد من أهل العلم قالوا : ثبت الروايات فى هذا ويؤمن بها ، ولا يتوهم ولا يقال كيف هكذا ، روى عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا فى هذه الأحاديث : أمرؤها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة » . فلم يتوهموا التشبيه ، ولم يفهموا ظاهرها ، وسلموا بها (١) .

لقد اختار أهل السنة تأويل الصفات الخبرية خاصة المتأخرين منهم ، وأخذ بعضهم موقفاً مزدوجاً فذهب إلى رأى السلف ، وأول فى الوقت نفسه وكان للتأويل أهدافه وأسبابه ، أهمها الرد على المجسمة والمشبهة ، وتوضيح عقائد المسلمين فى التنزيه ، وذلك فى إطار منهج محكم يقصد إلى عدة نقاط :

١- بيان حقيقة التوحيد وأن الرسول ﷺ ، كان على علم هو وصحابته بتفسير معانى الصفات .

٢- تفسير الصفات فى ضوء المبادئ العامة للعقيدة التى وردت بالقرآن الكريم .

٣- تأويل الصفات والمتشابه حسب ما جاء فى لغة العرب ، وما استوعبته معانيها ، وقد نزل القرآن بلغة العرب ، وخطب العرب بها .

٤- التأكيد على وضوح آيات القرآن ، محكمها ومتشابهها ، للراسخين فى العلم .

٥- انتصر القرآن لعقيدة التنزيه ، وأكد على أن العقل مصدر من مصادر الشرع الحنيف ، ولذا يرفض الإيهام والغموض والتعميمات .

٦- دعوى الظاهر تعنى تشويه الحقيقة والإيهام بأن السلف مشبهة .

فى ضوء ما سبق يمكن فهم ما قصده الجوينى حين يقول فى النظامية : « والذى نرتضيه رأياً ، وندين الله به عقداً ، اتباع سلف الأمة ، فالأولى الاتباع وترك الابتداع ، فلو كان تأويل هذه الآى والظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة » (٢) .

(١) الترمذى : السنن / ٣٤ ، ٥٠ / ٥ ، ٢٣٤ .

(٢) الجوينى : النظامية ؛ ص ٢٢ - ٢٣ .

فلا تاويل أخطاره التي أشار لها أهل السنة ، وكذلك الأشعري شيخ المذهب ، والغلو مرفوض ، وربما بلغ بعض المؤلة درجة من النفي بعيدة ، مما جعل الأئمة يكفون عن التأويل (١) .

وقد عد بعض أهل السنة الإيمان على وجه العموم بالمتشابه ، حتى وإن جهلنا بعض التفاصيل غير قادح في الإيمان ، كما قال القشيري ، عبد الكريم بن هوازن ، وقاس ذلك على إيماننا بصحة الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والزبور ، فلا يقدر في إيماننا بها عدم معرفتنا بتفاصيل ما ورد بها من معانٍ ، ولا سبيل إلى معرفة ذلك لتحريف أهلها إياها . (٢)

ولذلك نجد أهل السنة لا يرون التأويل إلا عند الضرورة ، وهو أن يوافق الأصول كما ذكرنا ، فما حصل عليه الوقوف فمقابل بالقبول ، وما امتنع من التأثير فيه بمعلول الفكر سلموه إلى عالم الغيب (٣) .

#### \* الترجيح بين التفسير البياني والتأويل :

ويذكر يحيى بن حمزة العلوي طريقة العلماء في تفسير هذه الآيات فيقول : فلهذا تفسيران نذكرهما :

١- التفسير الأول : وهو المحكى عن علماء البيان والمتكلمين في الإعجاز ، وقد فسروها من غير تجسيم ولا تشبيه ، وقالوا : إن الغرض بهذا الأسلوب ، من علوم البيان هو التحصيل والتمثيل ، وحاصله هو أن الله ، تعالى ، تكلم بخطابه المعجز على أساليب العرب في الفصاحة والعلو في البلاغة .

فكان الله ، تعالى ، خيل إلى نفوسهم بما أشار إليه من اليد والوجه والعين ، أنه حاصل على مثل ما يحصل عليه الواحد منا في ذلك ؛ فقال تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٤) ، كما يقول الواحد منا : أنت تفعل بعيني ومرأى مني .

(١) الفزالي : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، ص ١٤٤ .

(٢) القشيري : لمع في الاعتقاد ؛ ص ٢٥ ، وانظر لنا الآراء الكلامية والصرفية للقشيري ؛ ص ٢٠٨ رسالة ماجستير غير منشورة بدار العلوم .

(٣) القشيري : اللطائف مصدر سابق ؛ ١٤ / ٢٢٠ .

(٤) سورة القمر : آية ١٤ .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (١) ، كما يقول الواحد منا : اليدان من فلان مبسوطتان ، وغرضه التخييل ، ويدل على أنه ليس المراد هو الجارحة ، هو أن مثل هذا يطلق على من كان كريماً ينفق ما له ، وإن كانت يدها مقطوعتان .

وهكذا يقال : جرى بعيني ، وإن كان أعمى ، إذا كان عالماً به متحفظاً عليه ، وهذا هو الوجه المختار عندنا ، في تفسير هذه الآيات ، المشعرة بالتشبيه ، من غير حاجة إلى التأويلات البعيدة في ذلك ، وهو أسهل وأجدى ، على الأساليب اللغوية والدال على الإعجاز .

وهكذا نجد في التفسير البياني توضيحاً وبياناً معقولاً لهذه الآيات دون الإغراق في التأويلات البعيدة ، وارتضاه أهل السنة وغيرهم ، وظهر هذا الاتجاه بقوة عند الباقلاني (٢) في كتابه «الإعجاز» ، والقاضي عبد القاهر الجرجاني (٣) في كتابه «أسرار البلاغة» ، وكذلك الزمخشري (٤) في كتابه «الكشاف» ، «وأساس البلاغة» (٥) .

ومن مميزات هذا الاتجاه البياني هو أنه يستعين باللغة العربية بما فيها من دلالات وبيان عرفه العرب ، الذين نزل القرآن بلسانهم وخاطبهم بما تحمله لغتهم لفظاً ومعناً ، ولا ينكر أحد أن الرسول ﷺ ، والعرب في عصره فهموا ما نزل من السماء ، وعدوا ذلك من وجوه إعجازه الكثيرة ، وبهرهم القرآن من هذا الوجه وأعجبوا ببيانه ، الشعراء منهم وغير الشعراء على السواء .

كما أن في هذا الاتجاه إبطال لخرافات المجسمة ، وترقية للحس والأسلوب عند الناظرين في آيات الكتاب ، تفسيراً وتبياناً .

٢- أما التفسير الثاني : وهو المحكى عن المتكلمين فقالوا في قوله ، تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾

(١) سورة المائدة : آية ٦٤ .

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري من كبار علماء الأشعرية ت ٤٠٦ هـ ، وله مصنفات كثيرة .

(٣) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، واضع أصول البلاغة ت ٤٧١ هـ .

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم إمام المفسرين وصاحب الاتجاه البياني المعروف له مصنفات كثيرة ت ٥٣٨ هـ .

(٥) يحيى بن حمزة : رسالة الرائق في تنزيه الخالق ، الورقة ٣٣ ظ ، ٣٤ و . ميكروفيلم بدار الكتب ، ومعهد المخطوطات العربية ، وانظر الرسالة بتحقيقنا .

يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿١﴾ ؛ الغرض منه نعمته ، واحتجوا على ذلك بأبيات من جهة اللغة دالة على استعمال اليد بمعنى النعمة (٢) .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَيَقْنَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ (٣) ، أى ذاته ، والوجه قد يكون عبارة عن الذات من جهة اللغة .

فأما المجئى فى قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ (٤) فهو على حذف مضاف ، أى أمر ربك ، وأما الاستواء ، فتأولوه على الاستيلاء والاحتواء والاقترار ، كما قال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ (٥) أى استولى على العرش واقتردر عليه .

فأما رأى علماء البيان فى هذه الآيات ؛ فهو موضوع على حاله فى الدلالة على المجئى والاستواء من غير تشبيه ولا تجسيم ؛ ولكنه على جهة التخييل .. على أن فيه وجه من وجوه البلاغة العربية والبيان العالى ، فهى إما تشبيه أو استعارة أو مجاز ، أو كناية ، أو صورة كلية لها تفسير إجمالى .. إلخ .

ويفضل كثير من المتأخرين من علماء الإسلام الاتجاه البيانى كمخرج من مازق التأويل الشاذ ، وبهدف جمع شمل المسلمين حول فهم مقاصد القرآن الكريم يقول يحيى : وكلا التفسيرين يشعر بالتنزيه عن الجسمية لذاته تعالى ، خلا أن ما أخبرناه من تفسير علماء البيان ، أدخل فى التحقيق ، وأبعد عن التأويلات النادرة ، وهو أدل على فصاحة القرآن وأحق بالتنبيه على بلاغته وإعجازه . (٦)

\* \* \*

(١) سورة القمر : آية ١٤ .

(٢) انظر ابن قورك : تأويل مشكل الحديث ، ص ٣٤٢ .

(٣) سورة الرحمن : آية ٢٧ .

(٤) سورة الفجر : آية ٢٢ .

(٥) سورة طه : آية ٥ .

(٦) انظر يحيى بن حمزة : المصدر السابق ؛ ورقة ٣٤ و .